هو الرقيق الحبشي الذي تحضر هذه القافلة عدداً قليلاً منهُ فيباع باكثر من غيره والذكر ومقدارهُ قليل ايضاً وتباع الاناثية منهُ في مصر بنحو اربعة جنيهات ونصف

قافلة فزّان

بلاد فزّان في داخل بربرا على بعد عشرين يوماً من طرابلس الغرب واربعين من القاهرة وفيها نحو اثنتي عشرة قرية يختلف بعدها عن طريق القافلة بين نصف يوم وثلاثة ايام . وهي في بادئ امرها يقع فيها المطر فتسقى بالآلات . واهلها مسلمون متحضرون يربّون المعزى والجمال والحمير وليس عندهم خيل ولا غنم

وفي يوليو سنة ١٨٠٠ حضر شيخ قافلة فزّان الى القاهرة ومعهُ ثمانية تجار وثمانية جمّالة معهم خمسة وعشرون جملاً ستة منها محملة بضاعة طرابلس الغرب من طرابيش وبرانس واحرمة صوفية وعشرة محملة تمراً وما بقي للزاد ونحوهِ من لوازم السفر . وكان جميع رجال القافلة عزلاً من السلاح مع ان قبيلة اولاد علي كانت قد سلبت القافلتين السابقتين عند حدود مديرية البحيرة

ويغلب ان يكون التجار المرافقون لهذه القافلة من الحجاج القاصدين مكة فيحضرون معهم شيئاً من الاقمشة الطرابلسية يعتاضون بارباحها عن بعض نفقاتهم

وتعود القافلة ببعض الاقمشة الكتانية والارزّ اما الحاجات الاخرى فتشتريها من طرابلس الغرب

اختراق افريقية

اشرنا في العام الماضي الى رحلة صديقنا المستر سندج لندر واختراقهِ افريقية من شرقيها الى غربيها في طريق لم يسر فيهِ احد من الاوربيين قبلهُ . وقد بعث الينا الآن بخطبة تلاها في الدار العلمية الملكية ببلاد الانكليز فرأينا ان نقتطف منها ما يلي قال

لقد اخترقت افريقية من شرقها الى غربها في اوسع عرض منها وقضيت في ذلك ٣٦٤ يوماً في الحل والترحال واضطررت ان اعرّج مراراً واسير في طرق ملتوية فبلغت المسافة التي قطعتها ٨٥٠٠ ميل . قمت من جيوقي في املاك فرنسا وقطعت بلاد الحبشة الى نهر بارو وزرت القبائل النازلة الى الشمال والجنوب من نهر السبت وهو امتداد نهر بارو وكان سفري كلهُ على الخيل والبغال الى ان وصلت الى النيل على سبعين ميلاً من كدك (فشودا) جنوباً

ومن ثم قطعت بحر الغزال والحراج التي تنبع الى نهر شيري او بنغي في بلاد الكنجو الفرنسوية وزرت في طريقي ولاية الكنجو الحرة . ولما وصلت الى حيث ينحرف نهر اوبنغي الى الجنوب سرت في جهة شمالية غربية مع جماعة من رجالي نحو بحيرة شاد وعبرتها ولكنني لم اواصل السير هناك غرباً بل ارتددت شرقاً لاني اردت ان افحص بعض المنخفضات في صحراء الكانم وزرت في طريقي بعض القبائل النازلة شمالي بحيرة شاد وعبرت بلاد الشاتي ودرت جنوباً الى ان وصلت الى الطرف الشمالي الشرقي من بحيرة شاد وقطعت ٨٥٠ ميلاً من الصحراء راكباً على الجمال الى ان وصلت الى النيجر بطريق سوق زندر ثم سرت بقارب ٦٨٠ ميلاً فوصلت الى مدينة تمبكتو وواصلت السير في النيجر وعبرت نهر السنغال الى ان وصلت الى الراس الاخضر وهو ابعد نقطة من افريقية غرباً

وقد استعملت في رحلتي هذه كل انواع المطايا الخيل والبغال والحمير والثيران والجمال والقوارب الخشبية والحديدية والارمات . ولم يكن معي في وقت من الاوقات اكثر من ثلاثين دابة للحمل ولا اكثر من اربعين رجلاً . ولم اكد اقطع ثلث هذه المسافة حتى فارقني كل رجالي وذلك في اصعب الاماكن في قلب افريقية ولم يبق معي الا رجل واحد من اهالي الصومال فاحتلت انا وهو على تسيير قافلتنا وحيور الحواج بها وكانت الامطار تندفق علينا تدفقاً واستخدمت رجالاً غير الذين تركوني ولكني لما مررت في بلاد التوارك لم يبق معي منهم سوى ثلاثة وست جمال وجنّ اثنان من الرجال . وكنا نقطع ٢٣ ميلاً كل يوم والعادة ان اصحاب الرحلات لا يقطعون هناك اكثر من عشرة اميال في اليوم . واطول مدة استرحت فيها ١٢ يوماً لما بلغت النيل وعشرة ايام في تمبكتو

وكان اكثر سيري في بلاد وعرة انتشرت فيها الحمّى الملارية ولما وصلت السنغال كانت الحمّى الصفراء ضاربة اطنابها فيها . ولما بلغت الساحل الغربي ركبت سكة الحديد الفرنسوية ولكن اتفق ركوبي في مركبة فيها رجل فرنسوي مصاب بالحمّى الصفراء فاضطررت ان اقيم في الكورنتينا . ولم يكن معي ادوية تستحق الذكر في كل سفري ولا آلة لترشيح المياه . ولا اعتمدت بلذع البعوض ولا بالوسائل الطبية وكانت النتيجة اني عدت الى اوربا وانا على تمام الصحة ولم البس في هذه الرحلة خوذة تقي من الشمس ولا ثياباً تقي من المطر بل لبست ثيابي العادية التي البسها في مدينة لندن وقطعت هذه المسافة كلها وليس معي شيء من الاسلحة ولا سكين صغيرة لان رجالي كانوا مسلحين بالبنادق الكثيرة الطلقات ولكن قد كنت اعطيهم خرطوشاً ولم يكن معي رجل ابيض وقد قمت وحدي بكل نفقات هذه الرحلة

هذه خلاصة رحلتي والآن اشرحها لكم بأكثر تفصيل واسهب في وصف غريبة او غريبتين من الغرائب الكثيرة التي لقيتها فيها

لم يكن اختراق بلاد الحبشة من الصعاب ولكنني خفت من حدوث ما لا يحمد عقباه في سكة الحديد من جبوتي الى دير دوى مسافة ١٩٠ كيلو متراً لكثرة اهتزازها ولما بلغت دير دوى مضيت الى مدينة هرر وقابلت رأس مُكنّن وهو من اقدر رجال الحبشة . ولما عدت الى دير دوى نظمت قافلتي واتجهت نحو العاصمة وسرت في بلاد تكاد تكون قفراً وزرت في طريقي كثيراً من قبائل الدنا كل وهم اقوام لا بأس بهم ولكنهم كثيراً ما يقتلون الغرباء الذين يزورون في بلادهم و يمثّلون بهم وكانوا قد قتلوا رجلين من العرب ورجلاً من الاحباش قبلما اخترقت بلادهم بايام قليلة . وقد خاف منهم الجنود الاحباش الذين اتوا معي الحبشي. وبلغت اديس ابابا عاصمة الحبشة بعد سير اثني عشر يوماً ونزلت ضيفاً على السرجون هرنجتون سفيرنا لدى الامبراطور منلك وعلى الاوربيين القلال العدد الذين هناك . ولقيت من الامبراطور كل حفاوة واكرام . واديس ابابا اشبه بمعسكر كبير منها بمدينة وقصر منلك او قصوره فيها اشبه بمعمل كبير منها بقصور الملوك فان داخل اسوارها مضرب النقود والآلات البخارية والورش المختلفة ومنلك يقضي اكثر اوقاته فيها لا على عرشه لانهُ يكره السياسة

والسرجون هرنجتون رجل مقتدر ومحنكته وحسن تدبيره بقي اسمنا مكرّماً في بلاد الحبشة ولولاهُ لخسرنا ما كان لنا من النفوذ وخرجنا من تلك البلاد صفر اليدين . اما الآن فلا خوف على نفوذنا هناك والفضل كل الفضل لهذا الرجل . وكل من يزور بلاد الحبشة يقول ان فيها رجلين يخشى بأسهما ويحسى جانبهما وهما الامبراطور منلك والسرجون هرنجتون . والامبراطور يعتمد على رأي السرجون ويقدر مشورتهُ قدرها وعندي ان كثيراً من الاصلاح الذين تمّ في بلاد الحبشة كان بمشورته

وكلمة الامبراطور نافذة في رعيته وهم يعبدونهُ عبادة كأنهُ اله و يشاركهم في ذلك غير الاحباش من القبائل الخاضعة لهم وكلمتهُ شريعة لهم وامرهُ مطاع فيهم ورجالهُ يتغلبون على اعدائهم بما لهم من الهيبة في النفوس لا بمهارتهم الحربية فاذا توفي منلك لم يسهل على من يخلفهُ ان يقبض على زمام البلاد لاسيما وان عيون الدول الاوربية طامحة اليها من كل الجهات

ومنلك من اعدل الملوك واكرمهم واشدهم رزانة . ولو كان اصغر سناً وساح في اوربا لعاد منها بامور كثيرة تؤول الى اصلاح بلاده . وكل ما تحتاج اليهِ بلاد الحبشة حكومة منظمة وشرائع ثابتة

ولم اجد كبير صعوبة في المسير من تلك البلاد الى نهر السُّبت والتقيت في طريقي قبائل النالا في غربي بلاد الحبشة وهم يكرهون الاحباش مع انهم خاضعون لهم واذا مات منلك فلا يبعد ان يخلعوا طاعة الاحباش ويستظلوا باعز البريطاني . وهم اهل نظر يحرثون الارض ويربون المواشي ولهم المام بالتجارة و يدينون بالاسلام

والجانب الغربي اخصب بلاد الحبشة وهو معتدل الهواء لارتفاعه ويسهل اصلاح زراعته وفيه البن البري وهو من اخفر انواع البن والصمغ الهندي ومعادن كثيرة ويجمع التبر من مسيل نهر بارو

وبلي الارض المرتفعة ارض منخفضة من املاك الحبشة يديرها الناس من حكومة السودان وهناك يسكن البجو وهم جيل من الناس طوال القامة جدًّا كأنهم الجبابرة

واول نقطة فيها مأمور مصري جبلا وهي خبيثة الهواء لا تبقى على انسان ولا حيوان ورأيت فيها بعض تجار اليونان وكلهم في حالة يرثى لها من فعل الحمَّى الملاريا بهم ورأيت على قبر الجنرال غاتكر قطعتين من الخشب في شكل صليب وكثيرًا من الشوك منعًا للضباع من نبش الجثة و اكلها

ولقيت قبائل النوير جنوبي نهر السُّبت وهم انوام غريبو الاطوار لا يأتمنون احدًا ولا يأتمنهم احد عندهم كثير من المواشي لكنهم لا يبيعون منها ولا يقايضون وثيرانهم ليست اقل شراسة منهم فكانت تهجم على دوابّ قافلتي حيثما رأتها ورجالهم يطلون ابدانهم بطلاء ابيض واما نساؤهم فيحافظن على لونهنَّ الاسود ولا يلبسن الاَّ ابسط الملابس الطبيعيَّة . وكلهم ممتازون بطول ارجلهم ويطلون شعورهم بطلاء لزج ويجمعونها معًا في شكل مستدق وهذا الطلاء يصبغ الشعر بلون احمر ويدلُّ طول صوقهم على انهم مخلوقون ليعيشوا في بلاد كثيرة المستنقعات كأنهم طيور الماء وكثيرًا ما ترى الواحد منهم واقفًا على رجل واحدة كأنهُ مالك الحزين

وقد اضطررت ان اعبر نهر السبت مرارًا كثيرة وهو عميق سريع الجري فكنت اجد مشقة كبيرة في عبوره برجالي وبقالي وكانت البغال تسبح سباحة ونحن نطلق البنادق حولها خوفًا من التماسيح وكابدنا مشقات كثيرة الى ان بلغنا التوفيقيَّة على النيل وهي اقذر بقاع الارض[1] وهناك حامية من الجنود السودانية

ولما دنونا من النيل دخلنا بلاد الشلوك وقد كانوا اكثر عددًا واقوى صولة منهم الآن

(١) [المقتطف] وصلنا اول شفرات منة من التوفيقية

ولكن حملات الدراويش والسلطة والخاصين بددت شملهم وكادت تقرضهم ويضمر من انتشار لمتهم انه كان ثم صولة وسطوة فاني رأيت الناس يتكرونها او يفعمونها في عالية الحبشة ويلغي ان الامر كذلك في الجنوب حتى فكتوريا نيانزا . وهم فريقان احدهما يعرف بالقرابة بينهُ وبين النوير ولا سيما بين الدنكا . واكثر الشلوك الآن على ضفة النيل الشمالية بين بحيرة نو ومصب السوبت وبلادهم سهل فسيح تكثر فيهِ الاعشاب الكبيرة وتخارقهُ الخيران الكثيرة والمنخفضات التي يغمرها الماء زمن فيضان النيل وليس فيها الاَّ قليل من شجر الدوم والهجليج والدلب ويفسد مواردها في فصل المطر

ولما يتزوج الرجل من الشلوك يغير امرأة واحدة لغلاء مهر النساء فان مهر الزوجة لا يكون اقل من ثلاثة ثيران او اربعة او اربعين رأساً من الغنم او المعزى عدا الهدايا التي يهديها الخطيب الى اهل الفتاة قبل الاتفاق على مبلغ المهر وتعد الثيران او الغنم والمعزى التي يتفق عليها يقطع من القش توضع على الارض وقت الخطبة فاذا تم الاتفاق بين الخطيب واهل الفتاة على المهر اخبروها بذلك حتى اذا قبلت اهدى اليها الخطيب سواراً من النحاس او العاج تلبسهُ بذراعها . وقد يتزوج احدهم بفتاة ويعد اهلها بالمهر ثم يعجز عن الوفاء بوعده فتؤخذ زوجتهُ منهُ . وبعض الشلوك يتزوجون الشقيقتين والرباعيتين من الفلك الاسفل كما تفعل بعض القبائل في قلب افريقية

والبلاد حول بحر الغزال من اقبح البلدان وقد اتفق اني مررت فيها من مشرع الرق الى واو في اشد شهور السنة حرًّا وجفافاً قبل فصل المطر وكثيراً ما كنت اعجز عن استقاء الماء الكافي لما معي من الدواب من الآبار التي هناك

والدنكا اقارب الشلوك جاء اسمهم على ما اظن من دنجو الذي يقال في تقاليد الشلوك انهُ كان اخاً لجواكدنجو وهما اول من ظهر من قرمعا في تلك البلاد فاخلصهم الاخوان وعبر دنجو النيل وسكن على ضفتهِ الجنوبي ومنهُ جاءت قبائل الدنكا

ولما قطعت بلاد بحر الغزال ووصلت الى ديم زبير مررت في الحراج الاميرية متجهاً الى الجنوب ومررت على كثير من القبائل في اطراف بحر الغزال . اما قبائل النيام نيام فليس هذا اسمهم بل هو لقب ضمني يلقبهم بهِ غيرهم واما هم فيسمون انفسهم اسمندو من صندو اي تحت . وقد رأيت بعضهم وهم مشوهو الخلقة يطولهم كبيرة ورؤوسهم مستطيلة بلهٌ خبثاء لا يؤمن شرهم لكني وجدت في لغاتهم اموراً تدل على انهم منحطون من اصل مرتقٍ وهذه الامور قد تكون عرضية ولكن سواء كانت عرضية او غير عرضية فهي مما لم ارَ لهُ مثيلاً

في الايطالية والفرنسوية والالمانية والاسبانية والبرتغالية والانكليزية فاذا اراد الواحد منهم ان يضيف اليه شيئاً غير حي خارجاً عنه استعمل ضمير المتكلم المضاف اليه كما نقول بيتي ورحي ولكن اذا اراد ان يضيف اليه شيئاً متعلقاً به مثل اليد والدم لم يقل كما نقول نحن ابي ويدي بل اضافهُ الى ضمير مثل الضمير المرفوع عندنا كأنهُ يقول اب انا يد انا للدلالة على ان المضاف من اهله او من نفسه . وبعض الاسماء عندهم مستعار من الحوادث الطبيعيَّة او من عالم النبات فمعنى اسم اللحية عندهم مطر الذقن ومعنى اسم الراحة ورقة الذراع ومعنى اسم الظفر قشر الاصبع واسم القدم ورقة الساق ويسمون النجوم بما معناهُ اعداد الشمس . والواحد والاثنين والثلاثة الى الخمسة اسماء مفردة واما الستة فاسمها واحد من اليد الاخرى والسبعة اثنان من اليد الاخرى والثمانية ثلاثة من اليد الاخرى والاحد عشر واحد من القدم والستة عشر واحد من القدم الاخرى والحادي والعشرون رجل واصبع والحادي والاربعون رجلان واصبع والحادي والستون ثلاثة رجال واصبع وهلم جرًّا

وكان غرضي الوصول الى مملكة زمبو وهي اكبر الممالك في اواسط افريقية فقطعت الحراج هذه الغابة وتركني حينئذٍ كل الرجال الذين كانوا معي ما عدا واحداً من اهالي العرمال فسمنا القافلة وحدنا وكان فصل المطرات اكثر الدواب التي معي وكان الحر شديداً يزهق النفوس والارض مستنقعاً متصلاً والاشجار تلطم الاحمال على ظهور الدواب فتحلها او ترقعها ونضطر الى ربطها مراراً في اليوم والامطار تنصبُّ علينا كافواه القرب والاشواك والادغال تنشب في اقدامنا وأصبنا كلانا بالحمَّى ومضى علينا شهر ونحن على هذه الصورة نقاسي اشد المشاق الى ان بلغنا نهر مبومو وكان في قافلتي ثلاثون دابة بين بغال وحمير فلم يبق منها سوى اربعة حمير فاسترحت هناك يومين استرجعت فيها قوتي وعدت الى مواصلة المسير

وعلى نهر مبومو ونهر اوبنغي قبائل كثيرة اكثرها من اكلة لحوم الناس والنهران يفصلان بلاد الكنجو الحرَّة عن الكنجو الفرنسويَّة وما رأيتهُ من بلاد الكنجو الحرَّة يدل على حسن الادارة فيها واهاليها على تمام الرضى وقد اصلحت طرق البلاد وزراعتها وما يشاع على ضد ذلك غير منطبق على الحقيقة . والموظفون الايطاليون في حكومة الكنجو باذلون اقصى جهدهم في اسعاد السكان والسكان يحبونهم ويكرمونهم

وقد قطعت مراراً الطريق الذي مرَّ به الكولونل سرشان ورأيت الخريطة التي رسمها منطبقة غاية الانطباق على البلاد وهي في غاية الضبط والاحكام

وقت من اوبنغي بار بعين حمّالاً وسرت نحو بحيرة شاد وكان الفصل لا يزال ممطرًا واضطررنا ان نقطع انهرًا كبيرة وغرعًا كثيرة من القبائل القريبة الاطوار وفي جملتهم قبيلة المنجيا وقبيلة السنجا ولغتهما يشفين شفاههن السفلى ويدخلن في الثقب عودًا او عظمًا او قطعة مستطيلة من البلور او يملئن في الشفة العليا حلقةً كبيرة جدًّا حتى تطول الشفة بها وتتدلى وقد يملئن حلقة بكل شفة من الشفتين

وزرت بلاد الالمان في الكيرون ولقيت حسن الضيافة من الموظفين الالمانيين ووجدت انهم يحسنون الاعتناء بالسكان وان البلاد آخذة في الارتقاء بعنايتهم

وقد قيل ان ماء بحيرة شاد آخذ في النبوض ومن المحتمل انها تجف تمامًا لكثرة التبخُّر منها ولان الانهر التي تصب فيها تحمل اليها كثيرًا من الطمي فيرسب فيها ويختلط بالنباتات التي تنبت وتيبس فيها فيعلو قاعها رويدًا رويدًا. ولا شبهة ان هذه البحيرة كانت في العصور الغابرة اوسع مما هي عليه الآن. وقد حفر الملازم فريدنبرج بئرًا على بعد من البحيرة فوجد ترابها طبقات مترادفة من الرمال والمواد النباتية البالية وهي تدل على ان البحيرة كانت تغمر المكان الذي حفرت فيه البئر وتبين كيف ترسب المواد النباتية والرمال بعضها فوق بعض

وسرت في نهر النيجر بقارب من الحديد فقضيت ٢٨ يومًا حتى وصلت الى تنبكتو ولم يسر القارب في مسيل النيجر نفسه بل في الارض التي طغى عليها ماؤه. ولا تسل عمَّا لقينا من المشاق في طريقنا من القصب والحلفا ولا ما بُلينا به من البعوض. وكثيرًا ما كنا نجد الجنادل في طريقنا والماء يجري بينها سريعًا مزبدًا فنضطر ان نعود ادراجنا. واتفق مرةً ان وصلنا الى شلال من هذه الشلالات فخرج الرجال من القارب وربطوه بالحبال من الجانبين لكي يتعوه من الانقلاب وبقيت انا وحدي فيه والدفة في يدي وكانت امتعتنا فيه لكن المياه رفعته وقذفت به فوقع الرجال المكون بالحبال في الماء وكاد بعضهم يغرق ودفع القارب الى اسفل وامتلأ ماء لكنني نجوت من الغرق وانقذنا القارب والامتعة

اما مدينة تنبُكتو فبنيةٌ على جانبي كثيبين من الرمال ممتدين شرقًا وغربًا فيها خمسة الآف من السكان المقيمين واربعة الآف من التجار الذين يترددون عليها اكثرهم من طرابلس الغرب ومراكش وغدامس وتدوف وطوات واهاليها يتكلمون بكثير من اللغات الافريقية

واسهب الخطيب في وصف معادن البلاد ونباتاتها ومدح الموظفين الفرنسويين على ما لقيهُ من كرمهم وقال ان العلماء منهم يبذلون جهدهم في درس طبائع البلاد ومصادر ثروتها والاساليب التي تستثمر بها والضباط الذين يقودون جنود السنغال ماهرون في كل شيء فتراهم

يحسنون البلاد ويبنون البيوت ويحفرون الترع ويعلمون الاهالي كل ما يحتاجون اليهِ لمعيشتهم ورجال الادارة منهم من اكثر الرجال حنكة وامهرهم في اساليب السياسة . وختم بالشكر للورد كرومر والسردار ولوكيلي فرنسا وانجلترا السياسيين في مصر ولكيتن اون لانهم كلهم ساعدوهُ بما سهَّل عليهِ اختراق افريقية

معجم الحيوان

[لا يخفى على مَن اشتغل بالترجمة من اللغات الاوربيَّة او بالتأليف على منهاج الاوربيين ان من انواع الحيوان والنبات ما اسماؤهُ معروفة مشهورة كالغراب والفرس والتين والزيتون فلا تخفى على احد ولا تخفى دلالة الاسم على المسمَّى . ومنها ما اسماؤهُ غير معروفة او غير مشهورة او اخطأ المترجمون في ترجمتها وشاع الخطأ دون الصواب وهذه كلها يستصعب المترجم تحقيقها من مظانها كما وصل اليها وليس في العربية حتى الآن قاموس عربي افرنجي عُني مؤلفهُ بترجمة كل اسماء الحيوانات والنباتات التي لها اسماء في العربيَّة او بين الناطقين بها ناهيك عن ان تعريف اسماء الحيوانات والنباتات في كتب اللغة العربية قلما يدل عليها

وقد عنى صديقنا الدكتور امين معلوف منذ مدة بالبحث عن اسماء الحيوانات ووضع لها معجماً ذكر فيهِ الاسم العربي والاسم الفرنسوي والاسم الانكليزي والاسم العلمي ووصف كل حيوان وصفاً اوجز فيهِ او اسهب حسب مقتضى الحال فرأينا ان ننشر هذا المعجم تباعاً في المقتطف لعرضهِ على الباحثين في هذا الموضوع وعسى ان يخصنا المؤلف بمعجم آخر للنبات لانهُ بحث في هذين الموضوعين بحثاً دقيقاً يعود عليهِ بالشكر . المقتطف]

ذوات الايدي الاربع QUADRUMANA

البَمّام Anthropopithecus troglodytes. E. Chimpanzee. F. Chimpanzé نوعٌ من القرود الشبيهة بالانسان واقربها اليهِ في تركيب الجسم . طول البالغ منهُ نحو متر ونصف ويداهُ تصلان الى ركبتيهِ فقط ولا ذنب لهُ . وطنهُ الحراج الكثيفة في اواسط افريقية

اما لفظة البَمّام هذه فقد سمعتها مراراً من عرب السودان وهو الاسم الذي يعرف بهِ